

قصص تربوية في السلوك الحضاري الراقي/ ج(7)



القصة الثالثة عشرة "صُمّ" و"يَدُكْ" مغلولةٌ إلى عُنُقِك!!" تنويه: نسوق هذه القصة للمقارنة بين موقفين: موقف الأعرابي في القصة المارة الذكر قبل قليل، وبين صاحب القصة التالية: يُحكى في كتب المفاكهات أن رجلاً جاء إلى فقيه، فسأله عن حُكم إفطاره المُتكرّر بسبب ضعف نفسه وتساقطها عند رؤية الطعام، وهذه هي الحكاية على لسان صاحبها: أفطرتُ يوماً في شهر رمضان، وجئتُ أسألُ الفقيه في حُكم إفطاري؟ فقال الفقيه: إقصر يوماً مكانه. قلتُ له: قضيتُ. ثم استطرد: وأتيتُ أهلي وقد عملوا (مأمونية) (نوع من الحلويات)، فسبقني يَدَي إليها فأكلتُ منها. فقال المُفتي: إقصر يوماً آخر مكانه! فقلتُ له: قضيتُ! ثم أضفتُ: وأتيتُ أهلي وقد عملوا (هريسة) فسبقني يَدَي إليها. فالتفتَ الفقيه إلى الرجل، فقال لي: أرى أن لا تصوم إلا ويَدُكْ مغلولةٌ إلى عنقك!! - الدروس المُستخلصة: 1- الأعرابي هناك تحت الضغطين السلطوي والنفسي، لكنّه يرفض ويأبى ويُمانع، وصاحبنا هنا تحت ضغط الشهوة فقط، ويضعف ويتقهقر وينهار ويستسلم. 2- الأعرابي هناك يملكُ (زامم نفسه)، وصاحبنا في هذه القصة لا يملكُ (زامم يَدَه)! 3- الأعرابي هناك يمتنع عن (ضيافة الحجّاج)؛ لأنّه في (ضيافة الرحمن)، وصاحبنا يقع فريسة (المأمونة) و(الهريسة) وليس مآدبة الذي دعاهُ لضيافته، ومآدته التي لا تنفذ. 4- فتوى الفقيه ليست مجرد دُعابة، فصاحبنا بحاجةٍ إلى غلّ اليد حتى لا تسبقه، ولكن الأعرابي هناك لم يكن لديه ما يغلّ يَدَه، بل عنده ما يغلّ شهوتَه، لذلك كان الأقوى. وهذا هو الفرق بين

المُنفين: صنف يَضعف وهو حرٌّ، وصنف قوي على الرغم من محاولة استعباده. ودائماً تقول لنا المقارناتُ والتصنيفات: إختَرُ مع مَنْ تكون؟ أو إختَر مَنْ تكون؟ القصة الرابعة عشرة "العقوبةُ بِالْمَالِ لِتَغْيِيرِ سَوْءِ الْحَالِ!!" تمكّنت إحدى الراهبات من علاج سوء خلق قائد فرنسي عُرفَ بفظاطته وسبابه، وسوء أخلاقه على مدى ثلاثين عاماً، ثم أُصيبَ بالشَّلَل، ولكنّه لم يترك بذاءاته. قالت له الراهبةُ: دواؤكَ عندي إذا طاوعتني. فقال لها: لك ذلك. فقالت: إذا تلفّطتَ بِشْتِيمةٍ، تدفع لي في كلِّ مرّةٍ مئة درهم أُنفقها على الفقراء! فوافق العسكريُّ الفرنسيُّ على الشرط، فخرسَ في البداية دراهم كثيرة، لأنّه ليسَ من السهل على صاحب العادة أن يتخلّى عن عاداته التي مارسها ثلاثين عاماً، ولمّا خشيَ الإفلاس، صارَ كلّما أراد أن يشتمَّ أحداً أو يسيء إليه، يتذكّر (الغرامة) فيمتنع، وهكذا حتى تابَ من عاداته. - الدروس المُستخلصة: 1- ليس كلُّ العاهات والأمراض الأخلاقية تُعالج بالموعظة والنصيحة، فبعضها يُعالج بالغرامات أحياناً، سواء فُرضت الغرامة من الخارج كتشريع، أو فرضها المُتحالف على نفسه كتربية ذاتية. 2- لو أننا تذكّرنا الخسائر المُتتريّة على معاصينا، والتي نخسرُها كلَّ يوم من رصيدنا عند الله تعالى، وخشينا الإفلاس، أكذبنا نمتنع كما امتنعَ هذا الضابط، علماً أن الإفلاس يوم القيامة ليس كإفلاس الدنيا، فهذا يُعوّضُ وذاك لا يُعوّضُ؟! مشكلتنا أننا نُحصي خسائر الدنيا، جيّداً، لكننا عن إحصاء خسائر الآخرة الفادحة عاجزون أو لاهون أو ضعيفون في الحساب، ولو تعلّمنا أن نُحصي خسائرنا هناك لاستقامَ سلوكنا هنا. فليتَ (لو) لها قدرة ردعٍ وقطع!